اغتنم خمسا قبل خمس

إخوة الإيمان:

إن أوقات المرءِ في هذه الدنيا أوقاتٌ ثمينة، وإن كل يوم يعيشه المرءُ في هذه الحياة مكسبٌ وغنيمة، ومَن لم يحفَظ أوقاته ويَغنم لياليه وأيامَه خسر خسرانًا عظيما، عباد الله: نعيش مع وصيةٍ نبوةٍ شريفةٍ لأحد أصحابه، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن نبينا صلى الله عليه وسلم قد خصه الله بخصائصَ عظيمة مِن أهَمِها أن أعطاه جوامعَ الكلِم، فكان يُعبر عن الشيء العظيم بأوْجز عبارة، وأخصر لفظ، فوصاياه تُكتب بماء الذهب، وألفاظه تُنسج من نسج الحرير، فما أعظم لفظه ومعناه، ولعل من أهم وصاياه صلى الله عليه وسلم ما سنذكره في خطبة اليوم: أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِرجلٍ وهو يَعِظُه: اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شَبابَكَ قبلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناءكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَراغَكَ قبلَ شُغلِكَ، وحياتَكَ قبلَ موتِكَ؛

إنها موعظةٌ عظيمة لمن وُفق لفَهمها وعَقَلَ مدلولَها؛ فإنها موعظة عظيمة الأثر، معناها؟ لا ينبغي للمرء أن يغتر بصحته وعافيته وقوته وماله وجاهه ونشاطه، فإن الصحة لا تدوم ولا تبقى، وإذا ذهبت عن المرء صحتُه وعافيتُه ندم أشد الندم إن لم يستعمل صحته وعافيته في طاعة الله جل وعلا، وكثير من الناس يغتر بصحته وعافيتِه فيضيّعها في الآثام ويُذْهِبها في المعاصي والحرام، ثم يندم حيث لا ينفعه الندم، وما يجده المرء من مال ووفرةٍ في الخيرات والأرزاق لا تدوم ولا تبقى؛ فلا المال يبقى لصاحبه، ولا صاحب المال يبقى لماله؛ ولهذا على المرء أن لا يغتر بأمواله وتعددِها فإنها زخرفٌ زائل ومتاعٌ فانٍ ، بل الدنيا كلها فانية، والعاقل من لا يغتر بزهرة الحياة الدنيا الفانية، ولا يُفتَن بأموالها وبهجتها، كما افتتن قارون ، لذا كان لزامًا على كل شابٍّ وفتاةٍ أن يغتنموا هذه الفرص الخمس، وأن يعتبروا بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن تذهب هذه الخمس، وقبل أن يأتي يومٌ يتمنَّى فيه الإنسان أن يُقدم لنفسه ولأسرته ولوطنه ما يحب من خير وبِرٍّ وصدقة وتطوُّع، وما يرفعُ منزلته في الدنيا والآخرة فلا يستطيع، ولذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ءاخر: بادِروا بالأعمالِ الصَّالِحة، فستكونُ فِتنٌ كقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ، يُصبح الرجلُ مؤمنًا ويُمسِي كافرًا، أو يُمسي مؤمنًا ويُصبِح كافرًا، يَبيع دِينَه بعَرَضٍ مِن الدُّنيا[رواه مسلم] بادِر أيها الشاب عمرك قبل الهرم، واغتنم أيها الشيخ الصحة قبل السقم،

وهنا أيها الإخوة يُوصينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصية من أعظم الوصايا، ويحضُّنا أشدَّ الحضِّ، ويدعونا إلى اغتنام الفرص في زمن المُهْلَة، ويُخبرنا أنَّ مَن فرَّطَ في ذلك قد يأتي زمان يتمنَّاه، وقد حيل بينه وبينه بمعوقات وهي كثيرة، أيها المسلمون، إن بعد كل شباب هَرَمًا، وبعد كل صحة سَقَمًا، وبعد كل غِنى فقرًا، وبعد كل فراغ شغلًا، وبعد كل حياة موتًا، أحببت أم كرهت، فمن فرَّط في العمل أيام الشباب لم يدركه في أيام الهَرَمِ، ومَن فرَّط فيه في أوقات الصحة لم يدركه في أوقات السقم، ومَن فرَّط فيه في حالة الغِنى لم يدركه في حالة الفقر، ومَن فرَّط فيه في ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل، ومَن فرَّط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات، فعند ذلك يتمنَّى الرجوع ليعمل، ولكنه قد فات، ويطلب الكَرَّة وهيهات، وحِيل بينه وبين ذلك، وعظمت حسراته حين لا تنفع الحسرات ، قال الله تعالى: حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون]وقال عزَّ وجلَّ في سورة المنافقون: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ...[المنافقون]وطائفة تقول ياليتني قدمت لحياتي، إخوة الإيمان: الوقت والفراغ هو رأس مال الإنسان، جاء عنِ ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: نِعمَتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناسِ: الصِّحَّةُ والفَراغُ؛ [رواه البخاري]

وعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ [رواه الترمذي]فعلى المسلم الاهتمام بالوقت والاستفادة من أيام العمر التي يقدر على العمل الصالح فيها، قبل فوات أيام القوة والشباب، حين يُقبل الضعف على الإنسان ويصاب بالوهن ثم يأتي الموت بغتة فينقطع به العمل ويتوقف، وهذا ما أوصى الله سبحانه به نبيه الكريم حين قال: وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر]واليقين هنا هو الموت، أي حين يعاين المرءُ مصيره في الدنيا وانقطاع العمل والأمل، ومن الصوارف المشغلة للمسلم، قال القرطبي في كتاب الإفهام: سابقوا بالأعمال الصالحة، واغتنموا التمكُّن منها قبل أن يُحال بينكم وبينها بداهية من الدواهي، فيفوت العملُ للمانع، أو تُعدَم منفعتُه لعدم القبول، والمقصود بالموانع: المرض والكِبَرُ والفقر المنسي، والغنى المطغي، والعيال والأولاد، والهموم، والأنكاد، والفتن، والمحن إلى غير ذلك مما لا يتمكن الإنسان مع شيء منه من عمل صالح، ولا يسلم له، وفي الدعاء المأثور عن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم: اللهُمَّ أَصْلِحْ لنا دِينَنا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنا ، وَأَصْلِحْ لنا دُنْيانا الَّتِي فِيهَا مَعَاشنا، وَأَصْلِحْ لنا آخِرَتنا الَّتِي فِيهَا مَعَادنا، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِنا فِي كُلِّ خَيْرٍ، والْمَوْتَ رَاحَةً لنا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، ونسأل الله جل في علاه أن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين أجمعين، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيما، وأن لا يكلنا إلى تدبير أنفسنا طرفة عين؛ إنه سبحانه وتعالى سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل، اللهم أَعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، وأعلِ بفضلكَ كلمةَ الحق والدين، ووَفِّقْنا لِمَا تحب وترضى.

خطبة الجمعة ليوم 16 غشت 2024 م